وقد لبست خلخالين من الذهب لا ادري كيف تستطيع السير بهما لثقلهما»

ولم يكن عند ملوك سنار اسلحة نارية في زمن بروس فكانت سلاح جيشهم الحراب والسيوف والدرق وكان بعض فرسانهم يلبسون الزرد . وقد ذكر سلسلة ملوكهم من اول تاسيس مملكتهم الى ايامه . ثم رحل من سنار الى شندي وقابل ملوكها واميرة من اميراتها ووصف البلاد وصفاً بديعاً ومر بمروي القديمة واهرامها ووصف آثارها وعاد الى مصر . وما زالت مملكة سنار قائمة الى ان تغلبت عليها الحكومة المصرية سنة ١٨٢١ امين المعلوف

فرنسكو فرر

سألنا سائل في الجزء الماضي عن رأينا في مبادىء فرنسكو فرر ومنزلته تجاه الانسانية ولما كان ما نعرفهُ عن الرجل مستخلصاً مما قرأناهُ عنهُ بعد قتله وكانت مقالة المسيو الفرد ناكه[1] اوضح ما قرأناهُ بياناً وعليها دلائل الصدق ولو خرج بعضها عن حد الاعتدال وعدنا بتلخيصها في هذا الجزء

قال الكاتب ان دون فرنسكو فرر غارديا رجل عصامي من ابناء قطالونية الذين شأنهم الدأب على نصرة العدل والحق غُرست فيهِ الاميال الجمهورية في الحوادث التي حدثت في اسبانيا بين سنة ١٨٦٨ و١٨٧٥ فحملهُ تزق الشبيبة على الشطط في مشوراته الثورية وأخذ بهذه المشورات في محاكمته الاخيرة اي حُسب عليهِ وهو ابن خمسين سنة ما جاهر بهِ وهو شاب في العشرين مع ان مدة عشر سنوات كافية لنجاة الانسان من جريمة ارتكبها اذا لم يحاكم عليها في هذه المدة واذا حوكم وحُكم عليهِ وافلت من يد العدل عشرين سنة لم يعد يعاقب ناهيك ان فرر اقلع عن آرائهِ الاولى اذ رأى ان اعمال الشدة والعنف لا تجدي نفعاً وان الطريقة الوحيدة التي توصل البلاد الى الارتقاء الحقيقي المبني على العدل والحرية هي نشر التعليم والتهذيب

وانا أعرف الناس بفرر وبكيفية إقلاعهِ عن آرائهِ الاولى آراء الشباب والطيش واستبدالهِ بها الرزانة والتؤدة فاني كنت من اكبر انصار زورلا الذي انقاد اليهِ فررفي حداثتهِ وقد ساعدت زورلا بكل جهدي وبكل ما املكهُ انتصاراً لطالبي الجمهورية من الاسبانيين وساعدت الذين هاجروا منهم الى فرنسا واغثتهم من المشاق التي عرضتهم لها

(1) Alfred Naquet (*Un des Sénateurs de France*).

جول فري وكنت ولا ازال أعلّم الناس باحوال الجمهوريين الاسبانيين لاني صديقهم المخلص وانا أعرّف بفرر من كل احد حتى من ابناء وطنه وقد كانت صداقتنا في اول الامر مبنية على اميالنا السياسية ثم صارت حبًّا قلبيًّا خالصًا وصرت مستودع اسراره وافكاره

ولم اكن اوافقهُ على كل آرائهِ فاني اعتقد ان البلاد التي مثل روسيا واسبانيا حيث النيابة عن الشعب صورة لا حقيقة لها والحرية شرك لاصطياد الناس لا يمكن اصلاح حكومتها بالوسائل السلمية . والاصلاح بالوسائل السلمية والتعليم انما يكون في بلاد مثل انكلترا وفرنسا . ولكن يجب ان لا ننسى ما نعلمهُ اهالي هاتين البلادين ليل حربتهما فان حوادث سنة ١٦٤٨ في انكلترا وسنة ١٧٩٣ في فرنسا لم تمحَ من صفحات التاريخ حتى الآن . ولم يحدث في اسبانيا ما يقابل بما حدث بينهما من المذابح والشدائد حينما ارادتا نيل حريتهما وعندي ان الثورة الزم لاسبانيا مما كانت لانكلترا وفرنسا والقوة التي تعضد الشر لا يزيلها الاَّ قوة مثلها تعضد الخير . وقد كان فرر مخالفًا لي في ذلك كله على خط مستقيم ودارت بيني وبينهُ مناظرات ومشاحنات كثيرة في هذا الموضوع فكان يقول « اننا اذا نلنا اليوم شيئًا بالقوة والعنف فقد يأتي غدًا من ينتزعهُ منا بالقوة والعنف ولا يدوم الاَّ النجاح الذي ينمو نموًّا بطيئًا في عقول الناس وضمائرهم والسبيل الوحيد للاصلاح غرسهُ في النفوس بالتعليم ونشرهُ في البلاد بالقدوة الصالحة »

هذا كان رأي فرر وبهذه المبادىء كان مستمسكًا يجادلني ويناضلني وكانت هذه المبادىء تزيد رسوخًا في نفسهِ يومًا بعد يوم فيزيد اهتمامًا بانشاء المدارس ونشر الكتب لكي يسهل في الطلاَّب قراءة الكتب المشتملة على آرائهِ . ولا انكر ان نجاح مدارسهِ جاء مؤيدًا لرأيهِ حتى كدت احسب اني مخطىء وانهُ مصيب ولكني كنت اتم ما يستطيعهُ خصوم هذه النهضة الفكرية فترتعد فرائصي حينما افكر بما يمكنهم ان يفعلوهُ فجاءت الحوادث محققة خوفي

وهنا ذكر الكاتب كيف أخذ فرر بجريرة مورل وهو بريء منها في رأيهِ وكيف قامت الدنيا كلها حينئذٍ للدفاع عنهُ فاخلي سبيلهُ . قال لكنَّ خصومهُ بقوا لهُ في المرصاد الى ان حدثت الثورة في برشلونة فرموهُ بها لكي يستطيعوا ان يقفلوا كل المدارس التي انشأها ويطفئوا النور الذي تخشاهُ عيونهم فاخذوهُ بجريرة غيرهِ وهو بريء منها كما اعتقد بل كما اعلم علم اليقين لانهُ لم يكن يكتم عني سرًّا من اسرارهِ فلو كان هو المدبر لثورة برشلونة لكان اعلمني بها لاسيما وانها من رأيي الذي كان يخالفني فيهِ لكنهُ لم يفعل ولا كانت الثورة من رأيهِ بل

كان مضادًّا لها قلبًا وقالبًا. والثورة نفسها لم تكن مدبرة تدبيرًا بل كانت بنت ساعتها مثل اكثر الثورات. والثورات المدبرة تدبيرًا لا تبلغ ما بلغتهُ ثورة فطلونية ولا كان في الامكان ان يتنبأ احد بحدوث الامور التي ايقظتها فأخذ البريُّ بجريرة الاثمة واتُّهم المعلم الصبور المعتمد على بناء المدارس وانشاء المطابع بانهُ هو الذي بنى متاريس الثائرين وحرق الاديرة والكنائس. وانفرض من ذلك اقفال مدارسهِ ومنع مطبوعاتهِ من انارة الاذهان

واطال الكاتب في تبرئة فرر مما اتُّهم بهِ واقام ادلة كثيرة على ذلك مما لا غرض لنا باستيفائهِ لان الحكم نفذ فيهِ سواء كان مجرمًا او بريئًا وما هي باول مرة يرى فيها المجرم وحكم على البري، وغاية ما نتمناهُ ان يكون فرر بريئًا مما اتُّهم بهِ وان يكون غرضهُ من اعمالهِ كلها النفع العام فانهُ اذا كان كذلك وكانت اعمالهُ مما ينفع الناس فلا بدَّ من احياء ذكرهِ واعمالهِ اخيرًا لان سنَّة الكون تقتضي بقاء الصالح النافع وكم من شهيد افاد بموتهِ اكثر مما افاد بحياتهِ ولله در القائل

من يصنع الخير لا يعدم جوازيهُ ... لا يذهب العرف بين الله والناس

اما مبادئهُ فان كانت كما ذكرها المسيو تاكه كاتب هذه المقالة وهي الاعتماد على نشر التعليم والتهذيب لترقية البلاد بانارة الاذهان فهي نعم المبادئ على شرط تحذير الشبان من التهوُّر الذي لم يسلم منهُ فرر في شبابهِ وعلى شرط بذل الوسع في تعليم الطبقة العليا من الاهلين ايضًا والاَّ تداعى بناء الاجتماع. اما سلوكهُ تجاه الافرنسية فالزمان كفيل باظهارها والحكم فيها الآن سابق لاوانهِ

واذا ثبت ما ذكرهُ الكاتب واشالهُ عن براءة دي بفوس وفرر وامثالهما وتبويج القضاء لاثبات الجرائم عليهما خُيِّل للمرء ان العدل لا يزال غريبًا حتى في ربوع اوربا وان الجور لا يزال ضاربًا اطنابهُ فيها وان زماننا الحاضر ليس اصلح من الزمان الغابر وان العمران اسم لا مسمَّى لهُ. ولكن من راجع التاريخ ورأى تمدُّد المظالم التي كانت تجري في العصور الغابرة حتى لم يكن احد في امن على دمهِ وعرضهِ وماله يومًا من عمرهِ حكم ان ما يراهُ الآن من آثار الجور والظلم انما هو بقية خفيفة جدًّا من تلك المظالم السالفة وتوقَّع ان تزول مع الزمن كما زال غيرها

فلا ييأس احد من اصلاح الحال وزوال الشرور والمفاسد من هذه الدنيا ولنا في نفوس الطبيعة القاضي ببقاء الاصلح اكبر معين على نيل ما تتوق اليهِ نفوس الصلاَّح